الباب العاشر

من أعلام الفن الليبي

الفنان علي الشعاليَّه

ولد **علي السنوسي الشعاليَّه** بمدينة بنغازي عام ١٩١٩م . وكان لديه حبٌ فطري للفن والموسيقى منذ الصغر . وعندما سافر مع اسرته إلى مدينة الإسكندرية بمصر عام ١٩٢٨م وبقي بها لمدة ثلاث سنوات ، انبهر كثيراً بما رآه هناك من فنون وابداعات فنية مزدهرة ، ربما كانت في بعض جوانبها ، ذات أثر وتأثير على نفسيته المولعة بعشق الفن بعامَّة ، والموسيقى بخاصَّة .

أحبَّ **الشعاليه** آلة القانون وبدأ يتعلَّم العزف عليها بنفسه فترة من الزمن ، أسعفته بعدها توجيهات وإرشادات رفيق دربه ، الفنان والموسيقي الأستاذ **مصطفى المستيري** ، الذي كان يزوِّده ببعض المبادىء الأولية الهامة ، المتعلِّقة باصول العزف على هذه الآلة الفريدة . وظل **الشعاليه** بعدها مواظباً على استيعاب ما يُقدم إليه من توجيهات فنية ، تسندها موهبته الفطرية وحبه لهذه الآلة ، واصراره على تعلمّ العزف عليها ، لا بل والسعي الدؤوب من أجل تحقيق هذه الغاية ، التي تمكَّن من تحقيقها بالفعل ، وبابداع فني متقدِّم شهد له القاصي والداني .

ذاع صِيت الفنان **علي الشعاليه** وعرفه الجمهور ، ليس من خلال العزف على آلة القانون فحسب ، بل ومن خلال اسهاماته الفنية الأخرى كمطرب وملحن ، وكممثل مسرحي أيضاً . فقد أحب **الشعاليه** المسرح وساهم بدور ملحوظ مع رواد هذا الفن ، في ارساء جذوره بمدينة بنغازي ، حيث شارك **الشعاليه** في العمل المسرحي من خلال التمثيل ، ومن خلال اسهاماته الواضحة في الأعمال المسرحية الموسيقية ، أي تلك التي تعتمد في عرضها على فواصل موسيقية تتخلل سياقات احداثها ، وذلك في محاولة جيدة منه ، لإشراك أو دمج الموسيقى داخل العمل المسرحي . وقد شارك في الكثير من المسرحيات المعروفة خلال منتصف الثلاثينيات ، كما شارك مع الرائد المسرحي الفنان **رجب البكُّوش** في مسرحية (حسن البخيل) عام ١٩٤٠م .

سافر **علي الشعاليه** إلى مدينة طرابلس وبقي بها ما بين أعوام ١٩٣٦م . و١٩٣٩م . وهي الفترة التي ساهم خلالها باعماله الفنية المتنوعة ، كعازف ومطرب وملحن ، وبخاصَّة بعد افتتاح أول محطة اذاعة بطرابلس (تابعة للسلطات الإيطالية) ، حيث قدَّم العديد من الأعمال

الفنية الرائعة ، التي كانت من أشهرها أغنية (نُور عيوني) ، التي سُجِّلَت لأول مرة بمحطة اذاعة طرابلس .

سافر **الشعاليه** إلى القاهرة عام ١٩٤٦م . وذلك لمزيد من التحصيل الفني ، وتنمية ثقافته الفنية . واتصل هناك باستوديوهات محطة الإذاعة البريطانية بالقاهرة ، وسجَّل بها أغنية (نور عيوني) ، كما سجَّل بعض الأعمال الفنية الأخرى لإذاعة (الشرق الأدنى) ، ما زاد في شهرته الفنية داخل وخارج ليبيا .

وفي فترة الخمسينيات من القرن الماضي ، تعاون فنياً مع بعض الفنانين التونسيين ، حيث قدَّم لهم بعض الألحان الموسيقية الرائعة ، التي لاقت الإستحسان والقبول داخل ليبيا وتونس . فقد كان **الشعاليه** ، بشهادة كبار فناني ليبيا ، فناناً مجدداً على الدوام ، ومواكباً للتطور الفني داخل ربوع ليبيا ، والوطن العربي بعامَّة .

عمل رئيساً لقسم الموسيقى باذاعة بنغازي ، بعد افتتاح الإذاعة عام ١٩٥٧م . إضافة إلى عمله الفني كملحن ومطرب وعازف بفرقة الإذاعة الليبية .

كان حسَّ **علي الشعاليه** الفني ، قد مكَّنه من تطوير قوالب الأغنية الشعبية الليبية ، منذ احترافه الفن كملحن ومؤدٍ للأغنية . وعلى الرغم من روعة ادائه للألحان الفلكلورية الليبية ، إلاَّ أنه تمكَّن من تطويع صوته ذي درجات العمق العريضة ، ليتمكن من تطوير الأغنية الليبية . فقدَّم أغنية «ليلى الليبية» وأغنية «يشهد علىَّ الليل ، والنوم والجيران» ، بانسيابية لحنية لم تكن معهودة من قبل ، حفَّزت ملحنين آخرين ليستلهموا منها لونها وأسلوبها في أداء أغنيات كثيرة ، كانت بدايةً لقفزة فنية على امتداد الساحة الفنية الليبية ، وهي أغان مسجَّلة باذاعة لندن . وما أن تعودت الأذن الشعبية على هذا النوع من التطوّر حتى قدَّم **الشعاليه** لحنه المميَّز لأغنية «ولْفي تبدَّل عني» ، التي تغنَّى بها المطرب (**نُوشي خليل**) . وحينما قدَّم **الشعاليه** الأصوات النسائية للإذاعة ، طوَّع أصواتهن لنوع من التعبيرية الفنية ، لم تكن مألوفة لهن في ألوان الحفلات الغنائية الخاصة للفنانات الليبيات .

في خمسينيات القرن الماضي ، ومع احتضانه للأصوات الشابة الوافدة على الساحة الليبية ، حينما كان رئيسا للقسم الفني بالإذاعة ، ساهم في إثراء الألوان اللحنية الجديدة فبدأها بـ «توبة على الهوى» ، وألحقها بتحفته الرائعة «آه منَّك يا جميل» .

قدَّم هذا الفنان الفذ تحفاً فنيَّة خالدة ، مستفيداً من مساحة صوته العريضة ، وثقافته الفنية والأدبية ، فقدَّم أعمالا عظيمة ، عاطفية ووطنية ، أثْرت المكتبة الفنية ، وأفسحت المجال لأجيال

جديدة ، استطاعت أن تستلهم منها ألحاناً هذَّبت الذوق الفني لدى الأذن الشعبية ، وأتاحت المجال للفرق الليبية أن تستوعب في إيقاعاتها التراثية ألواناً جديدة ، تعكس روح العصر وتطوره .

ولعل الأفق الليبي بأبعاده الواسعة لا زال يحتضن صدى صوت هذا الفنان الأصيل وهو يشدو بقوة وروعة أدائه (نحن يا ليبيا الفدا) ، وحتماً ستظل أجيال كثيرة تردّد معه (نْساهي العقل ، يْخونَي ويجيبه) ، وستبقى المقدّمة الموسيقية التى وضعها لطقطوقة **السيِّد بومدين** (يا ريتني ما ربت سُود أنظاره) ، من أجمل ما قدَّمه الفلكلور الليبي .

انتقل **علي الشعاليه** إلى الرفيق الأعلى يوم الجمعة للتاسع من شهر فبراير من عام ١٩٧٣م .

الفنان محمد السيد بومدين[1]

ولد **محمد السيِّد بُومدَيْن** بمدينة بنغازي عام ١٩١٦م . وترعرع في أسرة معروفة بسجالها الشعري . وقد وُهب **شادي الجبل** ـ وهو الإسم الذي عرفته به ليبيا ـ موهبة فنية ، مكّنته من أن يصبح رائداً لمدرسة لها امتداداتها على طول الساحة الفنية الليبية ، وامتاز **السيِّد** بعذوبة صوته ورقّة كلماته ، وروعة صوره الشعرية ، مع ملكات تطويرية للمقامات الشعبية الليبية . فمنذ بداية أربعينيات القرن العشرين ، وهو يواصل عطاءه الفني أداءً وتلحيناً ونظماً . وحتى قبل بدء بثّ الإذاعة الليبية ، كان بامكان المستمع في ليبيا أن يستمع لألحان **بومدين** عن طريق هيئة الإذاعة البريطانية بلندن ، وعن طريق صوت ألمانيا اللتين سجلتا له تسجيلات نادرة .

مع بداية خمسينيات القرن الماضي كان **شادي الجبل** قد احتل صدارة الأغنية الشعبية في ليبيا ، حيث اعتُبر أكثر مطربيها شعبية . فحتى ذلك الوقت كانت ألحانه شعبية صرفة ، تستمد ايقاعاتها من الألحان الشعبية التي كان ينقلها من جنوب ليبيا ، وخاصّة من مدينة مرزقْ ، وبهذا مكّن اللحن الشعبي الأصيل ، بمزجه بكلمات تنسجم وايقاعات حياة المدينة ، فاختار لذلك لوناً متميزاً من المفردات العاطفية ذات الإيحاءات التي تمتاز بشاعرية ورقّة وعذوبة .

جاءت قمة ابداعات **السيِّد بومدين** في نهاية الخمسينيات ، حيث كان من أكثر الفنانين مشاركة في الحفلات الفنية . ولأنه كان من عشّاق الفنان **محمد عبد الوهاب** ، ومن المعجبين بادائه وتطويره ، فقد سلك نفس الأسلوب **الوهابي** في تطوير الأغنية الشعبية ، فظهرت له أغنيات تُعدّ قفزة نوعية في تطور الأغنية الشعبية الليبية مثل (يا حلوة البسمات) و(وحياتَك يا زَين) و(حسيبَكْ الله) ، التي قدّمها للإذاعة الليبية في عام ١٩٥٧م . وقد شغفت الأذن الليبية بالحانه وادائه ، ومقدرته الفائقة على الأداء التعبيري لصوره العاطفية الشعرية التي لمست مشاعر رجل الشارع الليبي ، وعلى تفوقه في أداء الأغنية التي يختمها (البرول) ، وهو القفلة

---

١) (رحيل رائد الموسيقى الشعبية الليبية) . اعداد أحمد الماقني . (الشرق الأوسط) ٦ يناير ١٩٩٥م .

الغنائية ذات الإيقاع الشعبي السريع .

وفي الستينيات اخذت الأغنية الليبية حظها من التطور ، مع اجيال رواد الأغنية الليبية مثل **محمد الكمبازي ، كاظم نديم ، حسن عربيي ، علي الشعاليه ، أبو فرج ومحمد صدقي** . . بعدها اكتظت الساحة الفنية بجيل التطوير الذي تزعّمه **سلام قدري ، محمد مرشان ، نوري كمال ، عطيه محسن ، محمد مختار ، أحمد كامل وعبد الوهاب يوسف** ، حيث أحدثوا تطوراً متميزاً للجمل الموسيقية ، اكسبت اللحن الليبي طعماً ذا ايقاع أكثر عصرية ، برزت في ابداعات **يوسف العالم ، محمد مرشان وحسن عربيي** . . ويفاجئ **بومدين** جمهوره بداية الستينيات بألبوم (رمَيت النظر) مع تركيز على الإيقاع الشعبي ، مكّنه من المحافظة على شعبية أصالة اللحن الشعبي . . وفي سنة ١٩٦٧م . قدّم **بومدين** «ألبوماً» جديداً متعدد الإيقاعات (هلتْ الدمع/وصبري تْمل) . . بعدها توقّف **شادي الجبل** حتى عام ١٩٧٦م . حينما تعاون مع الموسيقار **عطيه شرارة** ، ليقوم بتوزيع «ألبومه» الأخير ، ليقدّم للمستمع العربي تنويعات جديدة من الألحان ، امتازت بايقاعاتها السريعة ، وبتعدد صورها الفنية ، وان كانت تحتفظ في قاعها بالأصالة والتعبيرية الشفّافة ، التي اتسمت بها الأغنية الليبية .

انتقل **محمد السيد بومدين** إلى الرفيق الأعلى في اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر لعام ١٩٩٥م .

الفنان رجب البكُّوش [1]

ولد **رجب حموده البكُّوش** بمدينة بنغازي عام ١٩٠٥م .

عشق **رجب البكُّوش** الفن بعامَّة وأحب المسرح ، وآمن به كرسالة سامية ، لا بد من ارسائها . وعمل من أجل ذلك عقود وعقود ، متحلياً بالصبر وقوة العزيمة ، ليصبح بجدارة أحد أبرز روّاد الحركة المسرحية بالبلاد .

كانت فكرة تكوين فرقة مسرحية في مدينة بنغازي ، هي الشغل الشاغل لهذا الفنان ، فكانت البداية عام ١٩٢٦م . حيث ضم هذا الفنان مجموعة من الشباب الذين لمس فيهم حب المسرح ، بغرض تكوين نواة فرقة مسرحية بمدينة بنغازي ، لتقديم أعمال فنية ، بحسب الإمكانيات المتاحة لهم في ذلك الوقت .

عمل **رجب البكُّوش** على تكوين (**فرقة الشاطىء للتمثيل**) من الشباب الذين يعشقون المسرح ، وكان مقرّ هذه الفرقة بجوار شاطىء بحر الشَّابّي . وعملت الفرقة على إعداد بعض المسرحيات التي كان من بينها مسرحية (**الشيخ ابراهيم**) ، وهي نصّ اجتماعي غنائي من نصوص كتاب (**ألف ليلة وليلة**) ، وقام بالتمثيل فيها المطرب الفنان **علي الشعالية** والملحن الرائع **مصطفى المستيري** .

قام **رجب البكُّوش** بتأسيس (**المسرح الشعبي**) عام ١٩٦١م . الذي ذاع صيته في جميع أنحاء البلاد ، بسبب كثرة نشاطاته الفنية التي كانت تتناول في معظمها حركة المجتمع وترصد تطوره باستمرار . وكانت أغلب فصول مسرحياته تفرد بين ثناياها مساحات واسعة لمشاركة الفنون الأخرى كالأغنية والمنولوج ، وهي الفنون التي نبغ فيها **رجب البكوش** ، وقدَّم فيها اسهامات رائعة ، ظلت بصمتها واضحة عبر تاريخ المسرح بخاصة والفن بعامَّة . ومن أشهر المنولوجات أنذاك منولوج (**آخر الشهر**) و(**أنا ليبي وأمي ليبية**) و(**أوْعَىَ من شارع بوغوله**) . . . وغيرها .

كان الفنان **رجب البكُّوش** متعدد المواهب بحقّ ، فقد كان إلى جانب موهبة التمثيل

---

١) نبذة من اعداد الأستاذ ناصر رجب «بتصرّف» .

والإخراج ، يقوم بتأليف الأغاني الوطنية والشعبية والاجتماعية . ومن الأغاني الوطنية أغنية **(يا ليبيا ما من شقاء عانيتي)** ، ومن الأغاني العاطفية **(هانّوا بعد كانوا علىّ غوالي)** و**(ظلمتوني وأنا مظلوم)** التي تغنّى بهما الفنان الراحل **محمد صدقي** . وأغنية **(خُوذ الرّيشه يا فنّان)** التي تغنّى بها الفنان **نوري كمال** ، ومن الأغاني الشعبية أغنية **(نْعدُّوك يا مولىَ الجبين الضاوي)** . كما كان **رجب البكُّوش** يتمتع بصوت جميل وحيوية طبيعية في الأداء ، ما جعل منه منشداً بارعاً للأذكار والأناشيد الدينية ، وذلك من خلال مشاركاته الإيجابية في فعاليات الزوايا الدينية ، وبخاصّة خلال موسم عيد المولد النبوي الشريف .

انتقل الفنان **رجب البكُّوش** إلى الرفيق الأعلى مساء يوم الجمعة ، الموافق يوم السادس من شهر مايو لعام ١٩٩٤م .

الشاعر عبد الهادي الشعاليه[1]

عبد الهادي عبد الله الشعاليه هو إبن عم الفنان الشهير **علي السنوسي الشعاليه**، وقد نشأوا جميعاً في نفس بيئة شطّ الشابي بمدينة بنغازي، وهي البيئة الغنية بالفنانين وعشاق الفن ومحبيه، بمختلف مشاربهم واهتماماتهم. وعلى الرغم من أن **عبد الهادي** كان يمتلك القدرة على الغناء الجيد ـ كما سنشير لاحقاً ـ إلاّ أنه عُرف أو اشتُهر في بنغازي كشاعر غنائي من الطراز الأول.

بدأ **عبد الهادي الشعاليه** قرض الشعر في حوالي سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره. وكانت له بعد ذلك الكثير من المساجلات الشعرية، بسبب ذيوع صيته الشعري وتمكّنه من موهبة الشعر. وقد كان البعض يطلب منه التعبير عن مشاكله (شعراً)، وكان بدوره إيجابياً لا يتوانى عن طلبات الأصدقاء والمعارف مطلقاً، لا بل إنه كان يطرب لذلك كثيراً، ويكون رده دائماً بما يُرضي ويعبّر عن خلجاتهم وعواطفهم، وذلك وفق ما كان يتمتع به من ذكاء فطري وسرعة بديهة، تتفاعل مع الظرف المحيط بها في تناغم ملحوظ.

عندما تزوج **علي الخوجه** ـ صديق **عبد الهادي الشعاليه** ـ بفتاة ليبية، كانت يهودية وأسلمت، قال **عبد الهادي**:

اليوم مسلْمَه ما عادْش يهوديَّه ... دموع أمّها، تحلِف غدير مْويَّه

دِينها ترْكاته ... نزَلْ دينّنا في قلبها حَبّاته
يا سعدها بالمصطفىَ عِشْقاتَه ... يوم لاخْرَه تظهَرْ كِمَا حُوريَّه.

كانت **لعبد الهادي** أغاني جميلة ضاع أغلبها، بكل أسف، وتعرَّض بعضها الآخر للسطو والتحريف، بسبب عدم الإهتمام بتدوين شعره من طرف المهتمين.

تقول إحدى الأغاني التي ربما كانت له شخصياً أو لصديقه **الشريف الماقنّي**:

---

1) معظم معلومات هذا الموضوع (الملحق) هي برواية الأستاذ رجب البكّوش (حوالى عام ١٩٧٣م).

رَيْتُــوا غــــلاها كـــيف دايِرْ فِيَّ طوابِع بلا نيـــران ، حَـــيـــهْ عليَّ

في الكنين كونّي حَـــسّـــيـتـــهِنْ بين الكلَىَ صــادَنّي
خَـــوْفِي علىِ الرُّوح لا يْضــــرَنّي مـكـاتـيـب ، رايـذْهِـن الـلـه عـلـيَّ

غاوِي فيها بْنَيّـه صـغـيـره ، وْخـاطري باغـيـهـا
كـيف الدّباره ، بَيش نُوصِل فـيـهـا نْبَـرِّدّ قليـــبي مِن لهـــيب الغـيِّـــه

لُو رَيتَها يا خِينا حـمـــرا عليـــهـا المِلِحْ ، حَـدّ الزِّينَه
في بلادنا ، كـيـفـهـا ، نْسـاءَ مـا رَيْنَا لا في عـرب ، لا يْهُـود ، لا رُومـيِّـه .

أغنية لعبد **الهادي الشعاليه** ، جوالى عام ١٩٣٦م . (وهناك من يقول بأنها للشاعر **أبوبكر جعوده** !!) :

دِرِيْناه واجِـد مـــا شَـقِي بالغـيِّــه تِركْناه يِســتـاهَل جـمـيع الـسـيِّـه[١]

ما شْقِي مِ السّاعَه وْلاَ يوم في عـــمــرَه علينا تْدَاعَى
لَنظّار ناضَنْ نَوْضِـــةْ الفَـــزّاعَــه اللّي خـــالِطَنْهَـــا خَـيل بَرّانيِّـه

ما شْقِي مِتناعِل وْرَوَّح دلـيـل الـراي مِـنّـه زاعِـل
يا عين نامَيْ ، واتِرْكي مـــاو فــاعِل وْصِــــبّي علي نارَه بْرُود مْـــوِيِّه

ما شْقِي لا دَبَّر وْلاعب مع غـــيـري قـديم مْنَبَّـر
خْنَا جــرحنا مـــا هُو اللّي يجَــبَّـر وْيا بُو حلَق مـــا نا عليك رمـــيِّـه

١) دريناه : دفعنا به/ يحث على . . . .

أتركَنْ غاليكَنْ — وْلا تجـبـدَنْ مَـدعـاه نين يْجـيكَنْ
أنظاري عـصارىَ ، قـبل عـهدي بيكَنْ — وْمـوتَنْ عطَشْ ، كـان العـزيز مْـويّه

ما شْقِي لا جانا — وْلا يوم في عـمـرَه جـبَـدْ مَـدْعـانا
رْمَـيْنَاه رَمْـيِـةْ غِلَ طَب ورَانا — وهذا جـزَاءَ الخِـيّـان ، وطْفِي ضَـيّـه .

ما شْقِي بغراضي — خـاينْ مع غـيـري بْفكرَه راضي
لُو كـان هُو بالشّـرع وأمـر القـاضي — نأخـذ مع ريدي حـقـوق الغـيّـه[1]

ما شْقِي بحقيقه — خـان الغـلا مـولىَ الشّـفَـاه رقـيـقـه
نريد نتـركـه ، اليـوم جلوته وطريقـه — وننسـاه صـوب اللّي صـعـيب عليّ .

ويقول **عبد الهادي** في مطلع إحدى أغانيه :

يا لابْسَـه العَـبْـرُوق فَـوق الحـاجِب — منّك مْـرِيّضْ ، مـا قْـدِرت نْواجِب .

ويقول مطلع أغنية أخرى ، **لعبد الهادي الشعاليه** :

قِـدّامـهِـم واطِي النظَرْ وَأنسَـيْنِي — وفي وسط قلبي ، عـارفِك تبَـينِي[2] .

وهناك مطلع أغنية قديمة يُقال أنها **لعبد الهادي** أيضاً وهي :

زعم كـيف حـالَك يا بعـيـد دياره — فْـراقَكْ ذبَلْ عـقلي وْكـاد أفكاره[3] .

على الرغم أن الشاعر **عبد الهادي الشعاليه** ، لم يتحصل على أي قسط من التعليم ، إلاَّ أنه كان على علاقة مباشرة بالزوايا ، وبخاصة ما كان يُلقى فيها من قصائد عبر الكثير من المشائخ

---

١) بغراض/غراضي : بحبي/مودّتي . غراض/غرض : نية أو عزم . ـ ريدي : حبيبي/مرادي .

٢) في أواخر الستينيات أضاف أحدهم إلى هذا المطلع بعض أبيات أخرى ليصبح أغنية مسجّلة بالإذاعة الليبية .!!

٣) لقد تغنّى الفنان الراحل عبد السيد الصابري بهذه الأغنية كثيراً ، إلاّ أن معظم أبياتها القديمة ضاعت بالكامل . ـ أنظر آخر هذا الملحق ـ .

والمريدين . كما كان يطرب لسماع الشعر الشعبي ، ويجيد قوله ، لا بل ويتبارى مع الكثيرين في مجاله . وكان اهتمامه ينصبُّ غالباً حول الفن بعامة والشعر بخاصَّة ، ولم يكن **عبد الهادي** يحفظ لغيره من الشعراء أو يروي لهم ، بل إنه كان يهتم غالباً بعرض شعره هو فقط . وقد عُرف عنه حبه للمرح والسرور وعدم ميله للإنطواء ، حيث كان اجتماعياً بطبعه ، ومحباً للناس وللمزح والحبور بشكل ملحوظ ، ولم يُعرف عنه الكُره لأحد ، وبالتالي فقد كان له الكثير جداً من الأصدقاء والمعارف .

ولقد كانت تربط **عبد الهادي الشعاليه** ببعض الأصدقاء علاقة أخوية صادقة . ومن هؤلاء كان **عوض الشيباني** ، الذي أراد **عبد الهادي** أن يستفزه ويثير حنقه ، حين ابتعد عن بنغازي بحثاً عن العمل في مجال التربية والتعليم ، بواحة أوجله ، زمن أربعينيات القرن الفارط ، فبعث إليه محاولاً إغاظته بأسلوب ساخر ، قائلاً :

اليوم في أوْجِلهَ حظُّوك يا شَيباني ... شَرْ وْرواح ، وبُعد ع الحبّاني[1]

توظَّف فيها ... هي أوجله ، اللّي كان يحلم بيها
دار الفلك واليوم واطَنْ فيها ... ونْسِي المطبعه وأيام بو الغرياني[2]

يْعلِّم فيهم ... لْغات العرب ، وْطاليا يْوَرّيهم
لْقيهِم غجَر ما يفهمَوا بيديهم ... تنهّد وقال : الصبر يا شيباني .

في تلك المرحلة المبكِّرة (منتصف الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن العشرين) ، تجلّت كثير من المبادرات الوطنية الرائدة ، الهادفة إلى خدمة المواطن وتعليمه وتوعيته أينما كان . وكان من بين تلك الإسهامات مشاركة بعض الوطنيين من المثقّفين الأوائل ورجالات التربية والتعليم ، في الحملات التعليمية التي تبتعد في معظمها عن أماكن اقامتهم الأصلية ، لا بل ويضرب بعضها أعماق الصحراء حيث اجدابيا وجالو وأوجله والكفرة وهُون وزلّه وغيرها ، حيث تلك الظروف المعيشية والمناخية القاسية أنذاك . وكان من بين من غادر بنغازي وغيرها من المدن الساحلية الأخرى ، لهذا الهدف ، الأساتذة الأفاضل **عبد العزيز الأبيض وعبد الكريم**

---

١) عوض الشيباني ، صديق عبد الهادي الشعاليه .

٢) الغرياني ، صاحب المطبعة التي كان الشيباني يشتغل بها ببنغازي ، قبل رحيله إلى أوجله للإشتغال بالتدريس هناك .

جبريل[1] **وعبد الرازق شقلوف والشريف الماقني** ، الصديق العزيز والأثير لدى **عبد الهادي الشعاليه** ، **ويوسف الفيلالي**[2] وآخرين غيرهم . وكانت تلك هي الفترة الزمنية التي قال فيها الشاعر **عبد الكريم جبريل** الأغنية التي ذاع صيتها : (عمري كْملْ ما بَين هُون وزَلّه . . . وْقَيْدي تخبّل ما قْدرت نْحلّه) .

وقد تضايق **عبد الهادي** بسبب انقطاع أخبار الأستاذ **الشريف** عنه ، فترة من الزمن ، إلى الدرجة التي حاول **عبد الهادي** أن يشير من خلالها إلى أن السبب في هذا الإنقطاع إنما يعود إلى أن الأستاذ **الشريف** قد وجد أصدقاء جدد ، يجعلونه يبتعد ـ كما حاول **عبد الهادي** أن يقول ـ عن أصدقائه القدامى ، في بنغازي ، والذين على رأسهم بالطبع **عبد الهادي الشعاليه** ، الذي قال في هذا الخصوص :

شْـــريِّف الماقّني اليـــوم نســـانا   شْـقِي بْغَيــرنا شَطّب على مـدعـانا

شْروفهَ كَنّه   مـــا يوم شِي مكتـــوب جـــانا منّه

شْـقِي بْغَيــرنا مــا عــاد ينشِـد عنّا   ولا عـــــاد شِـي يبّي عَلَقْ ياالانا .

كان **عبد الهادي** شاعراً مطبوعاً غزير الإنتاج ، وكانت أغلب مساجلاته ـ مع مجايليه من الشعراء ـ تدور حول الشعر العاطفي (الغزل) ، إضافة إلى بعض المساجلات الشعرية التي تتناول المواضيع الوطنية ، ولم يُعرف عنه أنه توقف فترة ما ، عن قرض الشعر والإهتمام به . كما كان لا يخشى النقد ، لا بل إنه كان يراه ضرورياً ، وبخاصّة إذا دعت الحاجة إليه ، في سياق السعي نحو الجودة . كما كان يهتم ويقرض شعر (الْعَلَمْ) ، ويهتم بمتابعة ما ينتجه غيره من الشعراء في مجال هذا النوع من الشعر (غناء الْعَلَمْ) .

عاصر **عبد الهادي الشعالية** بعض الشعراء الكبار ، كما أسلفنا ، وكان من بين أولئك

---

١) هو الأديب والشاعر عبد الكريم اسماعيل جبريل الذي ولد بمدينة درنه عام ١٩٠٤م . ودرس بجامعة الأزهر الشريف أعوام (١٩٢٤م . ـ ١٩٢٧م) . عمل مدرساً ما بين درنه وبنغازي ، وذهب للتدريس في هون وزله حوالي عام ١٩٣٠م . وفي عام ١٩٤٥م عيّن مفتشاً ادارياً لمنطقة برقة . وكانت وفاته بمدينة درنة يوم ٧ ديسمبر عام ١٩٥٦م . «نُقل بتصرّف عن محاضرة للأستاذ محمد بوسويق بعنوان «عبد الكريم جبريل الشاعر الغنائي . . الهوية والعطاء» بتاريخ ٢٧/١٠/٢٠٠٥م» .

٢) يوسف مصطفى كمال الفيلالي ، ولد بطرابلس عام١٩١٣ م . يقرض الشعر ويُعدُّ من أوائل رجالات التربية والتعليم . عمل معلماً في الكفرة خلال الفترة الواقعة ما بين ١٩٣٦م . ـ ١٩٣٩م . «بتصرّف عن الأستاذ سالم الكبتي : من ذاكرة الوطن (يوسف الفيلالي) . نُشر بموقع : ليبيا جيل٢١/١/٢٠٠٦م» .

الشاعر المعروف **أبوبكر جعوده** الذي كان كثير التغنّي بهموم الوطن ، إذ كانت معظم أشعاره وطنية صرفة . وقد كان **لعبد الهادي الشعالية** معه مساجلة رائعة ، تشير إلى معاناة المواطن تحت نير حكم الإستعمار الإيطالي الغاشم ، فقد قال الأستاذ **أبوبكر جعودة** في هذا السياق :

دابَـيْـنَّـك فـي دارهِـم داريـهـم   وأنوي السـفَـر وأصـحىَ تْرِد عليـهم

واجِب علي نْسلِّم   وواجب إن رَيت الضَّـيم مـا نتكلَّم
مـا رَيت يا خُـوي الزمـان يْعَلِّمْ   اليـوم فِـينا ، ويوم بكرهَ فـيـهم .

وتماهى معه **عبد الهادي الشعّاليّه** قائلاً :

دابَيْنّك يالاهِم   إصـبِـر ، ولا تكثّـر الدّيْ مـعـاهم
يدْور الفلك وإن شـاء الله تلقـاهم   في حـاله عطِيـبه ، وْهَمّ راكِبْ فِيـهم

حاله شَيْنهَ   ويصـبح غنِيـهم حـالتـه مـسكِينه
ويبـقـوا ذوايح في الخـلاء ، يا خِـينا   وفي كْـبودهِم نيران ، تشعِل فِيـهم .

وكانت المساجلات الشعرية تحتدم أحياناً بين **عبد الهادي** (وخصومه) من الشعراء أمثال الأستاذ **عبد الكريم جبريل** شاعر مدينة درنه ، وصديقه السيد **أمحمد منصور الفيتوري** ، الذي أخذ جانب **جبريل** في إحدى المساجلات ، ما دفع **رجب البكّوش** إلى نصرة صديقه **عبد الهادي** ، فقال مدافعاً عنه :

نا ننصَح امـحـمّـد مْعَ الدّرناوي   راهُو هْدَيّه سَـبع ، صَـيْـدَه قـاوِي .

كان **عبد الهادي** يهوى البحر ، ويُعدُّ بين أقرانه من السبّاحين الماهرين . كما كان يفضّل العمل على السفر ، اللهم إلاّ بعض الرحلات مع الأصدقاء . وكان بيته يقع بالقرب من شاطيء البحر ـ موقع فندق قصر الجزيرة حالياً (أواخر عام ١٩٧٣م .) ـ وبالقرب من منزله هذا ، كان يقع الفرن الذي يمتلكه (وهو مجال عمله اليومي) . وكان هذا الفرن منتدى الأصدقاء والأحباب وأهل الفن والغناء ، حيث كان **عبد الهادي** نفسه صاحب حضور فني متميز على

صعيد الغناء بالذات ، الذي يجيده إجادة تامّة ، بحكم ما يتوفر عليه من موهبة وشاعرية وصوت جميل (وروح فنية خفيفة) .

كان الشاعر **عبد الهادي الشعاليه** كما عرفنا صاحب فرن (مخبز) ، وكان منزله بجوار هذا الفرن ، وبالجوار الآخر كان هناك مخزن قديم قام **عبد الهادي** بتأجيره لشخص يهودي ، أقام به مطحناً للحبوب ، وكان **عبد الهادي** يمضي بعض أوقاته داخل هذا المطحن . وبالقرب من هذا المكان كان يقع سكن الأستاذ **الشريف الماقنّي** ، الذي يُعتبر من أعزّ أصدقاء **عبد الهادي الشعاليه** . وعلى جانب آخر ، فقد ربطت **الشريف الماقنّي** علاقة صداقة قوية بالأستاذ **عبد الكريم جبريل** ، الذي يُعدُّ علماً من أعلام مدينة درنه وأحد شخصياتها المرموقة . وفي إحدى زيارات **عبد الكريم** إلى بنغازي ، أخبره **الشريف** بأن هناك شاعراً كبيراً يُدعى **عبد الهادي الشعاليه** ، وطلب منه ، لدى عودته إلى درنه ، أن يستفزّه (يناوشه) ببعض أبيات من الشعر تستفزّ خياله وتعبِّر عن ردّ فعله الشعري . ولّما عاد **عبد الكريم** إلى مدينته بعث إلى **عبد الهادي الشعاليه** قائلاً :

شَـيْنَك خـبَـزْ شَـعَـار في طاحُـونَه   وُوُدَّك بْنادم حِـجْـنَـه مَـوزُونَه

ولّما وصل هذا البيت إلى **عبد الهادي** تعجّب لهذا الأسلوب الإستفزازي ، واستغرب لصدور هذا السلوك من شخص **عبد الكريم جبريل** ، الذي لم يكن يعرفه ، والذي أجاز لنفسه أن يخاطبه على نحو ما سلف ، إلاّ أنه أدرك بحسّ معين أن هذا الأمر لا بدّ أن يكون من تدبير وترتيب صديقه **الشريف الماقنّي** . وعلى الرغم من ذلك فلم يسعه إلاّ أن يردّ قائلاً :

نُوريك حالي بيدي   في خـبـزْ نِرْمِي ، كلّ يوم عـديدي
مِ الصّبح ، نا كُورَيك حامِي في ايدِي   بْكُورَيكْنا ، مـا نمْلْكُوا طاحُـونه

قَوْلي خْيَاري   وْلفظةْ الكُوشَـه ، مـاو قْطاف سـهاري
علىِ مْـفـاصله مـوزُون بالعَـيّاري   واجـدين قَـبْلَكْ ، قَـصّرُوْا ، همْ دُونَه .

عند ذلك أيقن **عبد الكريم جبريل** أنه أمام شاعر فحل ، لا يُستهان به ، وقرر عدم مناوشته مرة أخرى ، بهذه الطريقة الساخرة .

ويبدو أن العلاقة قد توطدت بين **عبد الهادي وعبد الكريم** ، فيما بعد ، على النحو الذي

يمكن استشفافه من خلال تعاطيهم الشعر ونسج المساجلات الجميلة . وهو الأمر الذي يتماثل في طبيعته مع علاقة شاعر الوطن الكبير **أحمد رفيق المهدوي بعبد الهادي الشعاليه** . فبعد عودة **أحمد رفيق** من تركيا إلى بنغازي (حوالى عام ١٩٢٩م) سمع عن شاعرية **عبد الهادي** وشعره الشعبي الجميل ، المتميّز بسرعة البديهة ، إلاّ أنه كان ـ حتى ذلك الحين ـ لم يتقابل معه أو يتعرّف عليه . وفي منتصف إحدى الليالي ، وبينما كان **أحمد رفيق** يمشي بأحد الشوارع قرب البحر ، أشار أحد رفاقه إلى أحد المنازل قائلاً أن هذا منزل **عبد الهادي الشعاليه** ، فما كان من **أحمد رفيق** إلاّ أن طرق الباب بعصاه (المسمّاة مسعودة) ، قائلاً :

(جَيَّه عطيبه جَيْتي لْبنغازي) . فأجابه **عبد الهادي** من وراء الباب ، وبسرعة بديهته قائلاً : (ناس راقده وآنا نْبات نْزازي)[1] .

عندها قال **رفيق** : وآنا إنبات نْبناري

فردّ **عبد الهادي** : نبكي ، وْدمعي عَ الوْسادَه جارِي

فقال **رفيق** : ملْيُوع مِ اللّي ما عرَف بأقداري

فأختتم **عبد الهادي** الحوار الشعري ـ من وراء الباب ـ قائلاً : نا جَايْ مِن جِدّي ، وْهُوَّ هازِي .

عندها غادر **أحمد رفيق** المكان مقتنعاً بشاعرية عبد الهادي وسرعة بديهته .

إلى ذلك أورد الأستاذ **سالم الكبتي** في كتابه (وميض البارق الغربي)[2] بعض الأبيات الأخرى المضافة إلى هذه (المساجلة) ، وأشار على هامش الصفحة ، إلى أنها من نظم « . . . رفيق عند عودته من هجرته الأولى في تركيا واقامته ببنغازي مدة عامين (١٩٣٤ـ ١٩٣٦) قبل نفيه مرة أخرى إليها ، ويُروى انه قالها عندما ضاق باساليب (بصاصة) الطليان وعيونهم الكثر في المدينة ، تلك الفترة ، الذين ظلوا يرصدون نشاطه . كما يُروى بأن المرحوم (**محمد بوبريق بوقعيقيص**) شارك في الرد على هذا النظم ، وبعض الرواة ينسبون أحد البيتين له » :

دْعـاء شَـرّ بيًـا ، جَـيْـتي لْبنغـازي   النـاس راقـــدَه ، وانا نْبـــات نْزازي

---

١) هذه الأبيات (المساجلة) كانت برواية الأستاذ عابد البنّاني (حوالى عام ١٩٧٥م) . ـ نزازي : اتململ من كثرة الشوق وتباريحه .

٢) وميض البارق الغربي (نصوص ووثائق عن الشاعر أحمد رفيق المهدوي) . تقديم وتحقيق سالم الكبتي . الطبعة الأولى (٢٠٠٥م .) . الناشر : مكتبة التّمور (٥) بنغازي ، ليبيا .

نْبات بْطُولِيْ ... بْهَمّ مـا يْفـارِقْ دقيـقـه زَوْلِي
سِلْكِي تخـبَّل ، قـبل نِسْنِدْ طُولِي ... نبّي نْخَلْصَه ، ما زِلت فيه نْعازِي

نْبات نْدَوِّر ... طبيبـاً يْداوِي دَايْ ، ها اللّي جَـوِّر
سكَنْ في جـوفي نين دمّي فَـوِّر ... تفـوير المويّه فـوق نار القـازي .

وفي دراسة أخرى له ، يشير الأستاذ **سالم الكبتي**[1] إلى نمو وتطور العلاقة ما بين الشاعرين ، فيقول : « . . . وبين **رفيق والشعالية** حدث رباط فني ، وهو قاسم مشترك ، فكلاهما شاعر وفنان ، وكثيراً ما اشتركا في نظم مطالع لأبيات من هذا النوع كان أحدهما يستغيث أو يحتمي بالآخر فينجده بما يستطيع ويكمل ما بدأه زميله ، في موقف تعجز عنه الموهبة أحياناً . فمثلاً أرسل رفيق ذات مرة مع الفنان **علي الشعالية** بصدر بيت إلى ابن عمه **عبد الهادي** وطلب منه أن يكمل عجزه لأن اللحظة لم تطاوع «**رفيق**» وهو : **(إن كان الخطا عندي الحق نديره)** .

وإذ تخطّى عتبة الفرن ووجده منهمكاً في إعداد الخبز ، أعلمه به مباشرة ، فأكمل **عبد الهادي** من فوره - وعلى البديهة - بقوله : **(مْغَير اقبلَه يا بُو هنوب غزيره)** . . . » .

وهناك أغنية من أداء الفنان **علي الشعاليه** ، أورد الأستاذ **الكبتي مطلعها** ، في كتابه (البارق الغربي) المشار إليه ، وذكر أن « . . . هذا المطلع شارك فيه **رفيق** بصدر البيت ، فيما أكمل عجزه الفنان **(عبد الهادي عبد الله الشعاليه)**. . . » :

بَعْـدَكْ وْراسَكْ ، مـا نْوالِف غـيـرَكْ ... عـقلي نواك ، أيش دِرتْ في تِدْبِيرَكْ .

أخيراً . . . تزوج **عبد الهادي** في حوالي الثلاثين أو الخامسة والثلاثين من العمر ، وكانت تلك هي زيجته الوحيدة .

توفي **عبد الهادي الشعاليه** عن عمر يناهز الأربعين سنة ، بمنطقة الكويفيه (شرقي مدينة بنغازي) ، ودُفن بها حوالى أُخريات أربعينية القرن العشرين .

---

١) دراسة بعنوان «الشعراء الثلاثة» . نُشرت بصفحة «أخبار ليبيا» الألكترونية خلال شهر مارس ٢٠٠٧ م .

الأستاذ الشريف الماقني

ولد **الشريف الماقني بومدّين** في مطلع القرن العشرين بمدينة بنغازي ، وتوفي بها يوم ١١ مارس ١٩٦٢م .

ساهم **الشريف** عبر مراحل كثيرة في حياته في انضاج الوعي الثقافي لدى الأجيال التي جايلها .

تشهد له ليبيا دوره البارز في تعليم اللغة العربية بصورة سرية إبان حكم الاستعمار الإيطالي ، فكان جنديا مجهولاً مع كتيبة متميزة من المتعلّمين وضعت على كاهلها مهمة الحفاظ على هوية ليبيا العربية والإسلامية . اشتغل بالتدريس أستاذاً للغة العربية والدين في مناطق شملت مساحة كبيرة من قرى ومدن الأجزاء الشرقية والوسطى من ليبيا .

كتب **الشريف الماقني** القصة القصيرة في مجلة **ليبيا** التي كان يصدرها ويرأس تحريرها **مصطفى بن عامر** ، وقد تحولت قصته « لقاء» إلى تمثيلية إذاعية في حوالي عام ١٩٦٤م .

ينتمي **الشريف الماقني** لذلك الجيل الذي أُتيحت له منابع ثقافية متعدّدة ، خلقت تيارات فكرية ووطنية ، ساهمت في ايجاد أرضية انتجت ابداعات رائعة في الفنون والآداب والحفاظ على التراث الشعبي ، مع مواكبة التقدّم الفكري العالمي والعربي ، حيث مهّدت الطريق للأجيال الشابة ، لتُثري الساحة بألوان كثيرة من الفنون .

كان **الشريف** صديقاً مقرّباً من الشاعر الفذّ **أحمد رفيق المهدوي** ، حيث جمعتهما ذكريات طيبة ، سجّلتها قريحة **رفيق** في أكثر من قصيدة ، كما كان رفيقاً وأخاً روحياً للأديب المبدع **يوسف الدلنسي** الذي اعتُبر توأم **الشريف** .

برزت موهبة **الشريف الماقني** في كتابة الأغنية الشعبية ، والكتابة حولها في الصحف الليبية ، كما امتاز على الجانب الآخر ، بعذوبة صوته وقوة اداائه للألحان الشعبية الأصيلة ، مع تميُّزه الفريد في قرض واداء أغنية الْعَلَمْ .